

التربية الجنسية

في

منظور الاسلام

د/ فوزى عبد العظيم رسلان قمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

" ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب "

" ربنا آتانا من لدنك رحمة وهبنا لنا من أمرنا رشدا "

وبعد

فلقد صان الاسلام المجتمع الانساني وحافظ عليه ، ووضع المرأة في موضع يليق بأنوثتها ، باعتبارها جزءاً أصيلاً في المجتمع ، شريكة للرجل في تطور الحياة وإغنائها..... فأوجد لها حقوقاً تصلح بها حياة المجتمع ، وقطن لها ضوابط إسلامية أخلاقية ، راعى إنسانيتها وما يتناسب مع تكوينها ووظيفتها كامرأة.....

نأى بها أن تكون مصدر فتنة للرجل ، أو فساد للمجتمع ، وجعل الحجاب أدباً خلقياً ممدوحاً ، قطعت به سبل الفتن والغوايا ، وحفظت به الأعراض والحرمات فيه العفة ، والحياء ، والطهارة ، والكرامة .بيد أن بعض النساء أرخصن أنفسهن فانقلبن رأساً على عقب حين خرجن على شرع الله- عز وجل- في صورة من التبرج والزينة ، والظهور في مظهر جذاب ، مخالفات آداب مجتمعهن ، تاركات مسؤولياتهن كأمهات وزوجات ، مأخوذات بكل وافد رخيص ، مستحسنات كل دخيل براق ، مما يطلق عليه "المدنية"....محططات العرف والأخلاق من أجل هذا الجديد ، متجملات فوق طاقتهن ، منحرفات عن الحق الذي ارتضاه الله لهن ، وأخبر به خاتم النبيين.

ولا غرو بأن هذا ما ظهر إلا نتيجة للغزو الثقافي الغربي ، الذي يهدف إلى تدمير أخلاق المسلمين وعقولهم ، وقطع صلتهم بالله ، بإطلاق نار شهواتهم بلا ضوابط

أو حدود، وسيادة التشريعات والنظم والقوانين المنبثقة عن النظريات المادية، التي فصلت الأخلاق والقيم والمثل الكريمة عنها.....، لقد تلقت الفتاة دروس الحرية الجديدة، وتعلمت أساليب الهوى، وتدارست أحدث وسائل التبرج والسفور، وانطلقت من حرية القول إلى حرية العمل، فاندفعت وراء اللذة، متاجرة بجمالها، كاشفة عن مفاتها، ناثرة على واجباتها.....، وكان اهتمام الرجل باستعراض مفاتن النساء في ملابسهن الخليعة، والنظر إليهن بإعجاب وتفنن دون تفرق بين الزميلة، والجارة، والعبارة، أكثر من اهتمامه بواجباته وعمله، فلا حرج ولا حياء، ولا غيرة على أهل أو جارة، ولا فتوة تزود عن الحق وتدفع بالباطل..... بل صار الجنس لدى هؤلاء وأولئك كالطعام لا يقع تحت ذوق أو قاعدة، فضلاً عن تحرره من كل القيود، فاللواط، والسحاق، والممارسات الجنسية الجماعية، والزواج التجريبي، وتوادي الشذوذ، والمجلات الماجنة، والأفلام الجنسية، والصور الخليعة، كل هذه باتت السمة المميزة للمجتمعات المتحضرة- التي يقال لها ذلك وهي العكس- وكاد الأمر يكون مألوفاً لا غرابة فيه، ومن يقول بغيره فهو متخلف، رجعي، ضيق الأفق، عدو مجتمعه لا يرضى له التحضر والمدنية، يجب أن يعزل ولا يخول سلطة حتى لا تؤثر سمومه في الكيان الاجتماعي. الأمر الذي جعلني أتبع أصول هذه القضية وأبرزها من خلال تقديم الإسلام لها، ملتزماً في ذلك أصول البحث العلمي..... أسأل المولى العلي القدير، أن يلهمنا الصواب في القول والعمل، وأن يجنبنا الذلل والعثرة، وأن يهيب، لنا من أمرنا رشداً، إنه سميع قريب،

وصلو الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قوزى عبد العظيم رسلان قمر

مفهوم التربية :-

التربية لغة تعنى : التنسية، يقال: ربا الشيء يربو ربوا وربا ما؛ زاد وغما. وأربيته نميته.^(١) بذلك المفهوم تصير لفظة التربية مرادفا للفظه التنسية، وعليه تكون علاقة التربية بالمدرسة محدودة وفي إطار معين، ولا تكون علاقة مطلقة على النحو الذي يفهمه الكثيرون اليوم،^(٢) واشتقاق رب، ربي من أصل واحد فالله- سبحانه وتعالى- هو المربي الأعظم في الكون، وهو ليس مربيا الانسان فحسب، بل مربيا الخليقة كلها.^(٣)

وفي الاصطلاح لا يخرج مفهومها عن المفهوم اللغوي الممتد طولا وعرضا الموفى لمفهوم التنسية، فهي تعنى: مساعدة الفرد على أن ينمو وفق قدراته واستعداداته وظروف الحياة في مجتمعه، بحيث يكون أقدر على الاستفادة من القدرات والاستعدادات فيما يعود على نفسه وعلى مجتمعه بالخير.....إنها السعى الحثيث المتواصل الذي يقوم به الآباء والمربون لإنشاء أبنائهم على الإيمان بالعقيدة التي يؤمنون بها، والنظرة التي ينظرون بها إلى الحياة والكون، وتربيتهم تربية تمكنهم من أن يكونوا ورثة صالحين للتراث الذي ورثه هؤلاء الآباء عن أجدادهم، مع الصلاحية الكافية للتقدم والتوسع في هذه الثروة.^(٤)

فالتربية بذلك تهدف إلى تنمية القوى والطاقات الموجودة لدى الإنسان.....قوى الجسد، والعقل، والروح، كي يصبح عضوا مؤثرا في المجتمع، وتبدأ هذه التربية

١- لسان العرب- ابن منظور - ج ٣ ص ١٥٧٢ مادة (ربا) ، المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية

ج ١ ص ٣٣٨ مادة (ربا)

٢- نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي - د / محمد فاضل الجمالي - ص ٦٩.

٣- المصدر السابق.

٤- أبو الحسن الندوي (أهمية نظام التربية والتعليم في الأقطار الإسلامية) مجلة الأزهر - ص ٧٥١

شعبان سنة ١٣٩٦ هـ - أغسطس سنة ١٩٧٦ م

والانسان جنين في رحم أمه، وتستمر معه طوال حياته، ومعنى هذا أن التربية تعمل على بناء الانسان ذى الشخصية القوية الذى شحذت مواهبه، وامتألت جعبته بأسلحة الكفاح فى الحياة الاجتماعية، وتهباً للتقدم المظرد، والرقى المستمر، فالتقدم هو سنة الوجود، ودليل الحياة الصحيحة، وكمال الشخصية فى العلم والعمل، والفكر والارادة، والسلوك هو الغاية الأخيرة التى نقصدها من التربية، بل من الحياة كلها، أما تثقيف العقل، وحسن التفكير، ومعرفة العلم، فكلها وسائل إلى السلوك المطلوب حتى يستند إلى أساس المعرفة الصحيحة^{١١١}.

والتربية وجدت على الأرض مع وجود الانسان عليها، فهى وثيقة الصلة بالمجتمع تعكس فلسفته، وأهدافه، وظروف حياته، وألوان نشاطه، وقيمة ومعتقداته، أى تعكس عموماً أيديولوجيته^{١٢} فى الحياة، لتجعل الصغار يشبون على هذه الأيديولوجية فينضمون إلى حملتها من الكبار، إما تثبيتها لها، أو تغييراً. فالقيم والمعتقدات الصحيحة لكى تثبت لا بد من إنفاؤها فى الخلف، أما إذا انحدر بها أهلها وألفوا الهوى والتحلل، فالنغيير لا يكون إلا من خلال وحي معصوم يكون حجة لمن أرسل فيهم ولمن بعدهم، وفى ذلك يخبرنا القرآن الكريم عما حدث بين موسى وهرون-عليهما السلام- حينما أرسلهما الله-تعالى- إلى بنى اسرائيل وفرعون، وما دار بينهما من حوار عقيدى قال تعالى: "..... فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين، أن أرسل معنا بنى اسرائيل، قال ألم نريك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين، وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين، قال فعلتها إذا وأنا من الضالين، ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربي حكماً وجعلنى من المرسلين، وتلك نعمة منىها على أن عبدت بنى اسرائيل، قال فرعون وما رب العالمين، قال رب السموات والأرض

١- التربية فى الاسلام- د. أحمد فؤاد الأهوانى - ص١٦٦.

٢- الايديولوجيا: (علم الأفكار) المعجم الفلسفى - مجمع اللغة العربية - ص٢٩.

وصا بينهما إن كنتم موقنين، قال لمن حوله ألا تستمعون، قال ربكم ورب آبائكم الأولين، قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون، قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون^(١)

فالتفسير إنما جاء بروح الله الذي هو حجة عليهم، وعلى من بعدهم، وأما الله - عز وجل - من خلال نبيه الخاتم، وأنتبه في كتابه المحفوظ فتوارثته الأجيال فزادهم الله هدى، قال تعالى "والذين اجتهدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم"^(٢)، وقال سبحانه: "هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم"^(٣) بهذا وغيره يتضح لنا جلياً مفهوم التربية الذي لا يخرج عن معنى الزيادة، والتنمية في أوسع معانيها.

محددات الهدف التربوي:-

للهدف التربوي محددات وشروط إنه ينبغي أن يتناسب وطبيعة الانسان من حيث أنه ذات لها اعتبارات ثلاثة بتداخل بعضها في بعض: الاعتبار الأول: أنه جسم تتحكم فيه قوى ومقدرات معينة تنمو وتزدهر، أو تتحط وتتأخر طبقاً لقوانين وأسس محددة. الاعتبار الثاني: أنه عضو في المجتمع بتشكل في سلوكه واشباع حاجاته بالعناصر الثقافية والتنظيم الاجتماعي الذي اكتسب إندماجه فيه، ومحافظة على سلامته بهذه العضوية. الاعتبار الثالث: أنه شخصية ونموذج سلوكي يتكيف بالعوامل البيولوجية الخاصة به، والكيان الاجتماعي الذي يعيش فيه^(٤) فلكل إنسان له مبادئ وسلوكه المميز الذي يعبر عن خلاله إلى هدفه، ولكي يظهر في صورة مرضية ينبغي أن يكون له أسلوبه الخاص، الذي لا يخرج عن المثل العليا، والقيم التي يتخذها لنفسه أو

١- سورة الشعراء، الآيات : ١٦-٢٨.

٢- سورة محمد الآية : ١٧.

٣- سورة الفتح من الآية : ٤- الأخلاق التربوية - د. حسين سليمان قورة ص ٤٠٤.

يسير على منهاجها طوعاً، وهذا يلزم قوة الخلق، والمثابرة لتحقيق هذه الأهداف النبيلة، وصدق الله حيث قال: "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" (١١)، فعندما تنعدم المبادئ، والمثل العالية، تفقد الحياة غايتها، وتبدو رأكدة غير منتجة، وتضحل الشخصية وتذوب لخلوها من المعنى، ويظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس. ويلوى الانسان المتحضر المعاصر- فى كل مكان- خلو الحياة عنده من المغزى وهو عرض من أعراض مرض روحى حاد، سببه الانهيار العام للقيم والمثل العليا، والازدياد الكبير فى القوى المادية التى أصبحت فى متناول الانسان مقابل اغفال الجانب الروحى إغفالا جاحداً ومجحفاً بحقوقه.

بلوى الاقطار الاسلامية -

لقد أحدث نظام التربية الغربى المستورد من الخارج تناقضاً عجيباً بين الطبقات الحاكمة، وبين الجماهير من جانب، وبين الطبقات المثقفة ثقافة عالية، والطبقات التى تغلب عليها الأمية، وبين الطبقات المتدينة المحافظة، وبين الطبقات المتحررة فى جانب آخر. لقد أوجد هذا النظام جيلاً لا يسىغ العقائد والحقائق التى يقوم عليها المجتمع الاسلامى، أو الأمة الاسلامية، لأن ما يعطيه هذا النظام ويغرس فى النفوس والعقول يتناقض تناقضاً واضحاً مع العقائد والحقائق التى يؤمن بها هذا المجتمع أو الأمة. ولا غرابة إن وجدت هذه الطبقة أو الجيل الذى نشأ فى أحضان هذا النظام، ورضع من لبنه بلبس زيه، ويردد نغمته، محاولاً إزالة أنقاض العهد القديم أو الرجعية والتخلف (كما يقولون)، فيبقى فى صراع دائم مع عقيدة الشعب وعقليته، وعواطفه، واتجاهاته، هنالك تقوم معركة تستهلك طاقات وكفايات كانت الأمة أحوج إليها، ولا سبيل إلى التخلص من هذا الوضع الطبيعى وغير الضرورى إلا باحترام العقائد والقيم والأخلاق والمثل العليا، وذلك بوقف هذا النزيف الإباحى المتحلل من كل القيم، النازح إلى الاقطار الاسلامية للقضاء عليها، ولن يكون ذلك إلا بإطلاق حرية الكلمة الطيبة، ومنع

كل كلمة خبيثة مغرصة، واحترام أهل الذكر النابهين، فكفانا سخرية واستهزاء بهم.... إنهم حماة هذا الدين بما فيه من عقيدة، وشرعية وأخلاق، إن النية لهؤلاء، مسبقة والدليل على ذلك ما ذكره أحدهم بلفظ صريح بعيد عن التأويل والنية الحسنة يقول معللا سبب تخلف هذه الأمة "أما فيما يتعلق بتخلفنا فمرجعه إلى أهل الأزهر، ذلك أنهم لم يشتغلوا بفهم مقاصد الدين، واشتغلوا بالألفاظ والتراكيب النحوية واللغوية، لذلك جاء الاختلاف معنا، ومن العيب أن الجرائد وأصحاب الأفكار يرمون كل يوم علماء الدين الاسلامي بأنهم السبب في انحطاط وتأخر الأمم الاسلامية عن سواها في المدينة.... إنهم يحاربون الإصلاح ولا يفرضون لتعلمهم العلوم العصرية فائدة تعود عليهم في تهذيب عقل، أو استكمال أدب، أو تقويم عمل.... وليس لهم مقام لا من العلم ولا من الدين يسمح لهم بإبداء رأي في شأن من شؤون الأمة، فضلا عن مسألة من أهم مسائل الاجتماع البشري"^{١١} ويستطرد قائلا: "ومن الغريب أن المسلمين في جميع أزمان تمدنهم لم يبلغوا مبلغ الأمة اليونانية..... فلو نظرنا إلى حالهم العائلية نجد أنها مجردة عن كل نظام حيث كان الرجل يكتب في عقد زواجه بأن يكون أمام شاهدين، ويطلق زوجته بلا سبب، أو بأوهى الأسباب، أو يتزوج عدة نساء.... كل ذلك كان، واستمر إلى الآن على ما هو مشهور..... ثم يقول: أين هذه الفوضى من المنظمات والقوانين التي وضعها الأوروبيون لتأكيد روابط الزوجة وعلاقات الأهلية؟ فأى شيء من هذا يمكن أن يكون صالحا لتحسين حالنا اليوم"^{١٢}.....؟

أجل إن هذه الافتراءات لا تخرج عن كاتب أمين ظاهر العقيدة منافع عنها، يعلو بأمته الاسلامية من خلال مبادئها وقيمتها، ومثلها الرفيعة، ولا يقوم بتحقيقتها والنيل من القائمين بأمر دينها..... لكنه الياطل الذي له أهل فارتفع صوته، وصارت

١- المرأة الجديدة - قاسم أمين - ص ٨.

٢- المصدر السابق - ص ١٢٠ - ١٢١.

الكلمة له، ولا معقب عليها، أما أهل الحق فإنهم - في نظرهم - خونة رجعيين لا يعملون لصالح الأمة.... ولى أن أقول: من الذى يعمل لصالح هذه الأمة الاسلامية..؟ هل الذى يحبى بين جنباتها مبادئها وقيمها ومثلها الرفيعة؟ أم الذى يربيه على موائد الغرب فتتشبع بما لم تعط؟ والمتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور؟ لك حينئذ الجواب.....

ولى أن أقول: ألا يوجد منصف يوقف هذه الأقلام المأجورة !! والتي تعمل على قتل الأمة الاسلامية فى قعر دارها، بالتشكيك فى معتقداتها، والقائمين بأمرها. إنه القتل المتعمد لأبناء هذه الأمة علانية، دون قصاص ولا محاسبة، والقتل المعسرى ليس أهون من القتل الجسمانى، ولا فرق بين السم الناقع الذى يسرع بالإنسان إلى الموت، وبين السم الذى يتدرج به الانسان إلى الموت، وقد نهى الله عن كل ذلك.....

فقال سبحانه: " ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما"^(١)

مفهوم الجنس :-

الجنس لغة: " الضرب من كل شىء، وهو من الناس، ومن الطير، والجمع: أجناس وجنوس، فالناس جنس، والابل جنس، والبقر جنس...."^(٢)، وقال الزمخشري: " الناس أجناس، ومع التجانس التآنس، وكيف يؤانسك من لا يجانسك"^(٣).
 "والجنس فى علم الأحياء: أحد الأقسام التصنيفية، أعلى من النوع، وأدنى من الفصيلة. والجنس يطلق على أحد شطرى الأحياء المتعضية، مميزا بالذكورة أو الأنوثة.
 والعلاقة الجنسية: إتصال شهوانى بين الذكر والأنثى"^(٤)، ويراد بها عند

١- سورة النساء من الآية: ٢٩.

٢- لسان العرب- ابن منظور - ج ١ ص ٧٠٠ " مادة جنس".

٣- أساس البلاغة- الزمخشري - ص ١٠٢ " مادة جنس".

٤- المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية - ج ١ ص ١٤٥.

الانسان اتصال إرادي بين كائنين -ذكر وأنثى- يتخلص فيه الانسان من عزلته، إنه التقارب بين كائنين، والذي بدون يبقى الجنس حركة فارغة بدون معنى، ذلك أن النزعة الجنسية عند الانسان لا تهدف إلى إزاله توتر عضوى وحسب، بل تعبير عن حالة وصال تدفع بالرجل والمرأة إلى أن يتطهرا فينصهرا من خلال تداخل الأجساد، آمنين من خواطر الانحراف والشذوذ، والحاجة إلى الجنس ليست كحاجة الانسان إلى الطعام، والشراب، والراحة، وما إليها من حاجات، فالحاجة إليه أضعف بكثير عن غيره لما بينهما من فروق جوهرية يجب أن لا تغيب عنا **هنا**: أن الجنس أضعف الحاجات نسيباً، فالدراسات العلمية التي أجريت على هذا الموضوع تذكر ذلك وتؤكدده، ويكفيها في الدلالة المؤكدة لهذا، أن الجائع أو العطش أو التعب، لا يشعر بالحاجة الجنسية، بذلك يسقط قول المغررين من أن الميل الجنسي أصل وأساس، وأن الميول الأخرى تسير في ركابه.

ثانياً:- أن طبيعة الانسان بتنظيمها المحكم، تستطيع أن تتكفل بالميل الجنسي وإرضائه بطرق طبيعة بريئة سليمة، بحيث يصل الشاب والفتاة لبلة الزواج بريئين طاهرين نقيين، ولا ضرورة إطلاقاً لما يردده الأثمنون من ضرورة التجربة الجنسية للزواج السعيد.

ثالثاً:- أن ميزة الانسان عن غيره من الحيوانات أنه يستطيع- إذا شاء وتوفرت له التربية الطيبة والظروف المناسبة- أن يضع الجنس في خدمة الحب، وليس العكس، وهذا أمر هام يجب أن لا يغفل..... إن الذي لا يفعل ذلك قمين أن ينقلب إلى حيوان صرف، وقد حض النبي على ذلك وعلق عليه الأجر، وجعله صدقة لفاعله فقال: " وفي بضع أحدكم صدقة"^(١) ففى هذا كمال اللذة، وكمال الإحسان إلى الحبيبة، وحصول الأجر، وثواب الصدقة، وفرح النفس، وذهاب أفكارها الرديئة عنها، وخفة الروح،

١- متفق عليه (الجامع الصغير- السيوطي ص ٧٩).

وذهاب كثافتها وغلظها، وخفة الجسم، واعتدال المزاج..... فتلتذ العين بالنظر إلى المحبوب، والأذن بسماع كلامه، والأنف يشم رائحته، والعم بتقبيله، واليد بلمسه، فتسكن كل جارحة وتعتكف على ما تطلبه من لذتها، وتقابله من المحبوب،^(١١) بذلك يكون السكن التام، قال تعالى: "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها"^(١٢).

وأيضاً: - أن الميل الجنسي يمكن التصعيد، ويتم ذلك بالاصلاح الشامل للنفس الانسانية، وتعويدها على الخير" قد أفلح من زكأها، وقد خاب من دساها"^(١٣)، وفي إمكان القراءة وطلب العلم، والتفاني في العمل، والمداومة على صلاة الفرض والنفل، والمواظبة على تلاوة القرآن الكريم، والاستماع إلى أخبار الصالحين من الصحابه وغيرهم، واختيار الرفقة الحسنة، وذكر الموت وما بعده، ومراقبة الله في السر والعلن لقوله عليه الصلاة والسلام: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"^(١٤)، والصوم لقوله عليه الصلاة والسلام ".....ومن لم يستطع فعله بالصوم فإنه له وجاء"^(١٥)، وملء الفراغ بما ينفع لقوله عليه الصلاة والسلام- فيما رواه مسلم- "المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستمع بالله ولا تعجز....."، كل ذلك سبيل واضح في رفع الصفة الطاغية (الحيوانية) للجنس، إلى مستوى الصفة الانسانية المثالية.

يقول ابن الجوزي: "العجب لمؤثر شهوات الدنيا، ألا يتدبر أمرها بالعقل قبل أن يصير إلى منقولات الشرع. إن من لذات الحس الوطء، فالمرأة المستحسنة إنما يكون حال كمالها من وقت بلوغها إلى الثلاثين، فإذا بلغت أثر فيها ما مضى من عمرها في الولادة وغيرها.

١- روضة المحبين - ابن القيم - ص ٢١١

٢- سورة الروم من الآية : ٢١.

٣- سورة الشمس الآيتان : ٩ ، ١٠.

٤- رواه البخارى ، ومسلم ، وابن ماجه ، وأحمد عن أبي هريرة " الجامع الصغير ص ١١٠ " (صححه)

٥- رواه البخارى ، ومسلم ، والترمذى ، وابن ماجه ، والنسائى ، وأبو داود.

وربما أبيضت شعرات من رأسها فينفر الانسان منها، وقد يقع الملل قبل ذلك وطول الصحبة يكشف العيوب، وما عيب نساء الدنيا بأبلغ من قوله: " لهم فيها أزواج مطهرة" (١).

فلو تفكر الانسان في جسد مملوء بالنجاسة ما طاب له ضمه، غير أن الشهوة تغطي عين الفكر. فالعاقل من حفظ دينه ومروءته بترك الحرام، وحفظ قوته في الحلال فأنفقها في طلب الفضائل من علم وعمل. ولم يسع في إفناء عمره وتشتيت قلبه في شيء لا تحسن عاقبته

ما في هرادجكم من مهجتي عوض . . . إن مت شرقا ولا فيها لها ثمن (٢)

" ولعمري إن في الجدة لذة ، ولكن رب مستور إذا انكشف افتضح، ورب لقمة منعت لقمات، ورب لذة كانت سببا في انقطاع لذات" (٣). فمن خالف هواه اعتق رقبته وصار حراً ، وخلع الغل من عنقه، والقيد من رجله، وصار بمنزلة رجل سالم لرجل، بعد أن كان رجلا فيه شركاء متشاكسون ولله در القائل :

رب مستور سبته شهوة : فتعصرى ستره فانهتكا

صاحب الشهوة عيب فإذا : غلب الشهوة أضحى ملكا (٤)

فميزة الانسان الكبرى أنه يستطيع أن يكون مثالياً، ولعنة الانسان الكبرى أن يتخلى عن مثاليته، ويتبع نفسه هواها، ويعيش في واقع كاذب، تقع فيه شخصيته وتذوب، والمدنية الحققة، والثقافة الصحيحة، تتمثل في التطوع الدائم إلى المثل العليا، وما كانت الأخلاق ولا يمكن أن تكون مجرد قواعد وأوامر وزواجر، وإنما هي قبل كل شيء عقيدة، وإيمان، ونية وموقف، وهذا لا يعنى الاستهانة بالقواعد، والأوامر والنواهي..... ولكن إنما الأعمال بالنيات.

٢- صيد الخاطر- ابن الجوزي - ص ٤٢٨.

١- سورة النساء من الآية: ٥٧.

٤- روضة المحبين - ابن القيم - ص ٤٣٤.

٣- المصدر السابق ص ٤٢٣.

ولو تأملت نهج السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، لوجدت المثالية الكبرى في مواقفهم، ونيتهم الصادقة، وعقيدتهم الصحيحة، وإشارهم لذة الآخرة على شهوات الدنيا العاجلة..... إنما نالوا ذلك الظل بمخالفة الهوى، فالإمام المسلط القادر لا يتمكن من العدل إلا بمخالفة هواه، والشاب المؤثر لعبادة الله على داعي شبابه لولا مخالفة هواه لم يقدر على ذلك، والرجل الذي قلبه معلق بالمسجد إنما حصله على ذلك مخالفة الهوى الداعي له إلى أماكن اللذات، والمتصدق المخفى لصدقته عن شماله لولا قهره لم يقدر على ذلك، والذي دعته المرأة الجميلة الشريفة فخاف الله - عز وجل - وخالف هواه، والذي ذكر الله - عز وجل - خاليا ففاضت عيناه من خشته..... إن مخالفة الهوى والشهوة تقيم العبد في مقام لو أقسم على الله لأبره..... ومتبع الهوى يفوته من مصالحه العاجلة والأجلّة والعيش الهنيئ، ما لا نسبة لما ظفر به من هواه .

التربية الجنسية تربية لا تعريه :

يقصد بذلك الترع من التربية مساعدة الطفل على مواجهة مشاكله الجنسية
مراجعة واقعية، بطريقة علمية عقلية على قدر ما يسمح به نموه العقلي والجنسي^(١)

وللإسلام نظرتة الخاصة فيما يتعلق بالتربية "الجنسية" إنه يعترف بوجود طاقة جنسية في الكائن البشري، ومن ثم كانت نظرتة نظرة شاملة من خلال تكوينه الفطري "فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله"^(٢) فحرره من معتقدات الرهينة، والرياضات القاسية، كما حماه من أخطار التحلل والتعريّة، وأعلن أن الرغبات من طبيعة الإنسان التي لا سبيل إلى الوقوف في وجهها، وإن كان في الاستطاعة ضبطها وتعديل مسارها، وتخفيف أخطارها وتذليلها لتؤدي الغاية منها دون اسراف أو فساد أو تحميد، ومن هنا وضع لها ضوابط من الحلال والاعتدال والعفة .

١- علم النفس التربوي د. أحمد زكي صالح ج١ ص ٢٨٢ .

٢- سورة الزوم من الآية : ٣٠ .

كذلك فإن الاسلام كشف عن مهمة الجنس ودوره، وكيف أنه جزء من مهمة كبرى للإنسان، وليس الغاية الكبرى في حياته، وأنه وسيلة إلى بناء الأسرة وإنشاء جماعة، ليتحقق إرادة الله الكبرى في تعمير الأرض، وليس الجنس هو الغاية في هذه الحياة كما تقول الفلسفات الغربية، وليس هو أكبر أهدافها..... ومعنى هذا أن الاسلام ضبط الرغبة، ولم يحقق لها الاباحة الكاملة، ودفع الانسان إلى الغايات الكبرى، التي هي مؤهل له، وفي ذلك صلاح له وإصلاح، إنه حماية له من اختلاط الإنساب، وتفكك الأسرة، واضطراب عواطف الناس، وفي الوقت نفسه حماية للفرد ذاته من الاضطراب النفسى، وصيانة للمجتمع من التدهور والاحتلال.

مركز المرأة وعلاقتها بالرجل :-

فلنرجع إلى القرآن الكريم ولننظر إلى وضع المرأة بالنسبة للرجل، وأنا هنا لا أنظر إلى الناحية التشريعية، أى إلى نصيب المرأة فى الميراث بالنسبة للرجل مثلاً، فهذا حكم الله تعالى، وهو بلا شك واجب النفاذ، ولا علاقة له قط بمقام المرأة بالنسبة للرجل.

ولنبداً مع آدم عليه السلام، لنقرأ قوله تعالى: "وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقريا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين." (١) فنجد الحديث هنا موجهاً لآدم- عليه السلام- وزوجه، أمرهما الله بسكنى الجنة، ونهاهما من أن يقريا من هذه الشجرة، فإذا قريا منها كانا من الظالمين، فسكنى الجنة كانت لهما، والأمر والتحذير كان لهما، والجزاء كان لهما، وكذلك العقاب، فهما متساويان أمام الله فى الحقوق والواجبات، وما دامتا متساويين أمام الله فهما صنوان أيضاً فى الشرع- بذلك لا تحصل حواء وحدها الوزر كما هو مقرر فى الأديان الأخرى- فهما سواء، قال تعالى: "فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وورى عنهما من سوءاتهما

وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين، وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين، فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين، قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين، قال فيها تحميمون وفيها ممتعون ومنها تخرجون، يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون، يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه براكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون^(١) ففى هذه الآيات نجد أنفسنا أمام مجموعة من الحقائق :

١- الشيطان عدو لآدم وزوجه معا، وهو الذى يتربص بهما فى محاولة لإخراجهما من الجنة .

٢- أن وجود آدم وحواء كان وجوداً فردوسياً، يختلف عن وجودهما على الأرض من كل وجه، فهما لم ينجبا فى الجنة ولداً، كما لم يكن فى وجودهما جنس، بالرغم من وجود أعضاء الجنس .

٣- نجح إبليس فى اغوائهما، وكان ذلك سبباً فى إخراجهما من الجنة، ووقعا بذلك فى المعصية، فما الذى حدث لهما عندما وقعا فى المعصية ؟

٤- تحولاً من الطبيعة الفردوسية إلى الطبيعة الأرضية، وهنا نبض فيهما الجنس، " فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة" وهذا بداية التغيير لبقاء النوع الانسانى .

٥- من ذلك الحين أصبح آدم وحواء مخلوقين أرضيين يخضعان لكل ما يجرى على

١- سورة الأعراف الآيات : ٢٠ - ٢٧ .

أهل الأرض... فينبض فيهما الجنس، ويكون لهما الولد، ويجرى عليهما الموت والمرض، وفي ذلك حكمته، قال تعالى: "لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، ثم رددناه أسفل سافلين، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون، فما يكذبك بعد بالدين، أليس الله بأحكم الحاكمين"^(١)

٦- أن العقاب الذي استحقاه ليس لعنة أبدية، لكنه مجرد الإخراج من الوجود الفردوسي إلى الوجود الأرضي، والوجود الأرضي محنة أو امتحان، لأن الله رسم للإنسان طريق العودة إلى الجنة وهو الدين والالتزام بما شرع، فمن التزم به عاد إلى الجنة، ومن عصى كان مصيره إلى النار.

٧- أن الحياة على الأرض لا تخلو من العداوة والعدوان "قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو"، والعداوة والعدوان من طبائع حياة الصراع وكفاح البقاء على الأرض، أما الجنة فلا عداوة فيها ولا عدوان، قال تعالى: "والسابقون السابقون، أولئك المقربون، في جنات النعيم، ثلثة من الأولين، وقليل من الآخرين، على سرر موضونة، متكئين عليها متقابلين، يطوف عليهم ولدان مخلدون، بأكواب وأباريق، وكأس من معين، لا يصدعون عنها ولا ينزفون، وفاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون، وحور عيون، كامثال اللؤلؤ المكنون، جزاء بما كانوا يعملون، لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما، إلا قبيلا سلاما سلاما....."^(٢)

٨- غفر الله لهما، وباركهما بعد الخطيئة، "فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم"^(٣)، وهذه من أعظم الحسنات على البشرية، وميزة من ميزات الاسلام.

٩- وقد حذر الحق سبحانه بنى آدم أن يقعوا فيما وقع فيه أبوه آدم وزوجه..... حين

٢- سورة الواقعة الآيات : ١٠ - ٢٦.

١- سورة التين الآيات : ٤-٨

٣- سورة البقرة الآية : ٣٧.

أخرجهما الشيطان من الجنة، قال تعالى: "إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير" (١)

وعلى أساس من هذه الحقائق يجب أن تكون نظرتنا للمرأة التي ظلمها كتاب الغرب، ولم نجد منصفاً يضعها في مكانها المعدة له سوى الاسلام، ويكفيها فيما يتعلق بقضية الأغواء وخروجها من الجنة، وبراءة حواء عما اختلق لها من اتهام ما جاء في قول الله تعالى: "فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى. فأكلا منها" (٢) إن مفاد الآيه في ظاهرها هو امتناع آدم-عليه السلام- بالأكل طلباً للخلود بإغواء الشيطان وتزيينه، وأن زوجته- ولم تذكر باسمها في القرآن- أكلت معه إن لم تكن أكلت بعده (٣) ومن ثم وضع الاسلام المرأة في وضعها اللائق بها، لقد سفه من احتقرها، ورفعها من رِق التوارث كالمتاع، وقرر المساواة بينها وبين الرجل في أصل الخلق، وسوى بينهما في الاستقلال بالمسئولية الشخصية، وحملها مسئولية تصرفها كالرجل تماماً، وأعطاهها حرية كسب المال بالطرق المشروعة، وسوى بينهما في توجيه الخطاب عندما يتحدث عن الآداب العامة، وعالج قضاياها المتوارثة عن الاقدمين بما حفظ عليها آدميتها وثبت لها حقوقها، فجعل الزواج وسيلة لعقد صلات جديدة بين الجماعة الانسانية، فمنه كانت الذرية الصالحة وتتابع الأجيال، وهو الوسيلة الوحيدة لتلبية حاجات الرغبة الجنسية، مع المحافظة على العرض والشرف، ولأجل هذا حرم الاسلام الزنى، والوسائل الموصلة إليه، وفرض عقوبة عاجلة له في الدنيا..... وفي هذا- وغيره- ما يدل على أن الاسلام سما بالمرأة، وصان معها شرفها وعرضها، وألبسها ثياب العفاف والظهور، لتقطع السنة الباغين بالشرع.

عقد زواج لا عقد شراء -

لقد شرع الاسلام الزواج تحقيقاً لمطالب وحاجات الجنس المشروعة، وسد جميع

١- سورة فاطر الآية ٦: ٢- سورة طه الآيتين: ١٢٠ - ١٢١.

٣- صفحات من تاريخ المرأة المسلمة - د. محمود عمارة - ص ١٤ بتصرف.

السبل وأبواب الشر وجعل الزمام بيد الرجل، روى الشيخان - وغيرهما - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال: " كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتحنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه"، وفي رواية لمسلم: " واليدين تزنيان فزناهما البطش، والرجلان تزنيان فزناهما المشي، والفم يزني فزناه القبول"^(١) إن أعضاء الانسان نعمة موهوبة من الله، واستعمالها في الاطوار المسنون لها حفظ وغناء، وإطلاق زمامها فيما يهواه الانسان حرمان ونقصان" ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً"^(٢) ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم"^(٣). لذا وجب على الانسان أن يكبح هوى نفسه، وأن يبعد حواسه عن مصادر كل مثير جنسى، كي يكون حراً ولا يكون عبداً لهواه، والأصل التربوي في ذلك الحياء ففيه أيضاً - تهذيب وتربية للحواس، والحياء شعبة من الإيمان، فالسيطرة والتهذيب على كل قوى البدن، وعلى إمكانياته وغرائزه الفطرية تستلزم من الانسان الصبر والصوم.....

إنه بذلك في معركة لتطوع غرائزه - وهو نوع من الجهاد - لتتسجم مع شرع الله، فإذا كانت صادقة أعانه الله وانتصر، حيثئذ يكون عبداً لله، لا عبداً لهواه قال تعالى: " وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله"^(٤)، "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين"^(٥)، لم يتركه الاسلام إذاً لهواه، بل وضع له منهجاً تربوياً، تنضبط غريزته الجنسية من خلاله، فألزمه بالصبر والصوم، وحينما شرع له الزواج جعله مشروطاً بالاستطاعة، صيانة للمرأة وحفظاً لحقوقها - المادية والمعنوية - فمن علقمة - رضي الله عنه - قال: إنني لأمشي مع عبد الله بن مسعود يمني،

١ - الزواجر عن اقتراف الكبائر - الهيثمي ص ٣٨٨ ٢ - سورة الأسراء الآية : ٣٦ .

٣ - سورة طه من الآية : ١٣٦ . ٤ - سورة النور من الآية : ٣٣ .

٥ - سورة العنكبوت الآية : ٦٩ .

إذ لقيه عثمان-رضى الله عنه- فاستخلاه، فلما رأى عيد الله أن ليست له حاجة، قال لى : يا علقمة: فجئت، فقال له عثمان: ألا تزوجك يا أبا عبد الرحمن بجارية بكر، لعله يرجع إليك من نفسك ما كنت تعهد؟ فقال عبد الله: لئن قلت ذلك لقد سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: "من استطاع منكم البائة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء"^(١)، والبائة: الجماع والوجاء: رض الخصيتين، والمراد أن الصوم يقطع الشهوة، ويقطع شر المنى، يقول مالك ابن أنس البائة: نور وجهك، ومخ ساقك، فأقل منه أو أكثر...^(٢) لذلك كانت الحكمة واضحة في اختيار البكر ففي الأمثال العربية: "إن المناكح خيرها الأبيكار"^(٣)، وقيل: "البكر كالذرة تطحنها وتعجنها وتخبزها، والشيب عجالة راكب قمر وسويق"^(٤) وقد قال سيدنا رسول الله-صلى الله عليه وسلم- لجابر بن عبد الله حينما علم زواجه بشيب: أفلا بكرا تداعبها وتداعبك"^(٥) يقول الامام الغزالي: في البكارة ثلاث فوائد:

إحداها: أن تحب الزوج وتألفه، فيؤثر في معنى الود، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "عليكم بالودود" والطباع مجبولة على الأئس بأول مألوف.

الثانية: أن ذلك أكمل في مودته لها، فإن الطبع ينفر عن التي مسها غير الزوج نفرة ما، وذلك يشغل على الطبع مهما بذكر، وبعض الطباع في هذا أشد نفورا.

الثالثة: أنها تحن إلى الزوج الأول، وأكد الحب ما يقع مع الحبيب الأول غالباً^(٦) وللناس في النساء ما رُب شتى، أظهرها النبي- صلى الله عليه وسلم- في قوله: تنكح

١- سنن أبي داود ط ١ ص ٤٧٢ والفظ له، ورواه البخاري، ومسلم، والترمذي، ابن ماجه، التياتي.

٢- العقد الفريد - ابن عيود - ج ٤ ص ١٨٨.

٣- مجمع الأمثال - الميداني - ج ١ ص ٦٦.

٤- عيون الأخبار - ابن قتيبة - ج ٤ ص ٨.

٥- متفق عليه، وانظر في بيانه: الأمثال في السنة النبوية - فوزي رسلان.

٦- إحياء علوم الدين - الغزالي - ج ٢ ص ٤٢.

المرأة لأربع، لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك^(١١)، ثم قال: "ما أفاد رجل بعد الاسلام خيرا من امرأة ذات دين تسره اذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه في نفسها وماله إذا غاب عنها" والعلاقة الجنسية مع ذات الدين أعون في الطاعة وأثبت لقوائم البيت وأركانها وقد قيل "المرء على دين زوجته" إن ذات الدين ستري بناتها وبنيتها على ما نشأت عليه، فإذا لم تكن مؤدبة لم تحسن التأديب والتربية، ففاقد الشيء لا يعطيه، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: "إياكم وخضراء الدمن، قيل: وما خضراء الدمن؟ قال المرأة الحسناء في المنبت السوء"^(١٢)

إنها أساس كل رذيلة وبلية، وماوى لمن في قلبه مرض، وداية بيتلى به، وقد قال صلى الله عليه وسلم- "تخبروا لنطفكم فإن العرق نزاع"^(١٣) ولله در القائل:

وأول خبث الماء خبث تراهه : وأول خبث القوم خبث المناكح^(١٤)

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن مرثد بن أبي مرثد الغنوي كان يحمل الأسارى بمكة، وكان بمكة بغى يقال لها عناق، وكانت صديقتها، قال: فجئت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم- فقلت: يا رسول الله: أنكح عناق؟ قال: فسكت عنى النبي، فنزلت: والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك " فدعاني، فقرأها على، وقال: "لا تنكحها"^(١٥)..... لسلوكلها الخبيث لم تسترك، لقد نزلت الآية، وضرب بها المثل لمن

١- صحيح مسلم ج١ ص ٦٦٢، النسائي ج٦ ص ٥٦، وابن ماجه ج١ ص ٥٩٧، أبي داود ج١ ص ٤٧٢.

٢- رواء الدارقطني في الأفراد، والرامهرمزي في الامشال من حديث أبي سعيد الخدري، وقال الدارقطني تفرد به الواقدي وهو ضعيف (العراقي على الاحياء ج٢ ص ٤٢).

٣- رواء ابن ماجه من حديث عائشة وفيه فإن العرق دساس (العراقي ج٢ ص ٤٢).

٤- قاله بعض شعراء بني أسد- عيون الأخبار ج٤ ص ٢.

٥- سنن أبي داود ج١ ص ٤٧٣، واللفظ له، النسائي ج٦ ص ٥٤، ٥٥، والآية من سورة النور: ٣.

حاكاها ففى الأمثال العربية قيل: "أزنى من عناق" ولا غرو بأن المسلمين الأوائل فهموا حقيقة هذه التريبة الجنسية، وما تؤول إليه نطفهم، فلم يكن همهم قضاء الشهوة، إنهم يبحثون عن مكانها، لأنها أصل للولد، والولد بضعة منه لا ينفصل عنه، قال أبو عمرو بن العلاء، قال رجل: لا أتزوج امرأة حتى أنظر إلى ولدى منها، قيل له: كيف ذاك؟ قال: أنظر إلى أبيها وأمها، فإنها تجر بأحدهما.^(١) وأنشد ابن الأعرابي:

إذا كنت تبغى أيما بجهالة : من الناس فانظر من أبوها وخالها
فإنهما منها كما هي منهما : ككذلك نعلان إن أريد مشالها
فإن الذى ترجو من المال عندها : سيأتى عليه شؤمها وخبالها^(٢)
ولما كان هذا التوجيه التربوي موجهها للرجل لأنه الأساس فى المبادرة، لتحقيق مطالبه الجنسية المشروعة، إنه الذى يذهب برجله إلى بيت الزوجة طالبا بدها.... نجد أن الاسلام لم يغفل المرأة، بل جعلها مشاركة له- أيضا- فى المبادرة، فعن أبى هريرة قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم- "إذا جاءكم من ترضون خلقه وخلقته فزوجوه، إنكم إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض"^(٣)، وعن عائشة- رضى الله عنها- قالت: قالت يا رسول الله، يستأمر النساء فى أبضاعهن؟ قال: نعم، قلت: فإن البكر تستأمر فتستحي فتسكت، قال: سكوتهما إذنها"^(٤) وقال رجل للحسن- رضى الله عنه-: إن لى بنية، وإنها تخطب، فمن أزوجه؟ فقال: زوجها بمن يتقى الله، فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها"^(٥).... إن فى هذا وغيره إعلام للمرأة على أن تباشر حقوقها المشروعة لها، فى حرية تامة دون إجبار وفرض، لتألف رغبتنا

١- ٢٠ - عيون الأخبار - ابن قتيبة - ج٤ ص ٦
٢- رواه الترمذى وقال حسن غريب، والبيهقى فى السنن عن أبى حاتم المزنى - رضى الله عنه - وليس له غيره. (الجامع الكبير- السيوطى- ج١ ص ٤١٩)
٣- صحيح البخارى ج١ ص ٢٦. ٤- عيون الأخبار- ابن قتيبة - ج٤ ص ١٧.